جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

دلائل الدعاء في سورة الأنبياء

إعداد

د / عبد الصمد إسحاق حامد

أستاذ التفسير المشارك / قسم القرآن الكريم وعلومه / كلية الدراسات الإسلامية
الجامعة الأمريكية المفتوحة / المركز الإقليمي الأول

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ - يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
I.S.S.N 2974-4660 و The Online ISSN 2974-4679

دلائل الدعاء في سورة الأنبياء

عبد الصمد إسحاق حامد
قسم القرآن الكريم وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الأمريكية المفتوحة، المركز الإقليمي الأول.

ملخص البحث: ـ

من نعم الله تعالى على هذه الأمة أن جعلها وارثة لتجارب وعلوم ومعارف الأنبياء السابقين، في العقيدة والعبادة والدعوة والدعاء والصبر وغيره، مما جعلها أمة قوية فتية عصية على الأعداء، صابرة على البلاء، متجددة الآمال عظيمة الرجاء. وقد قدمت لنا سورة الأنبياء عبر صفحاتها المشرقة وآياتها البينة أروع صور المناجاة في دعاء الأنبياء، ووقوفهم بين يدي الله تعالى، يسألونه حاجتهم، فاستجاب الله تعالى دعاءهم، وقضى الله لكل منهم حاجته، عاجلا ليس آجلا، وأثنى عليهم لحسن شمائلهم، ومن أعظمها المبادرة في فعل الخيرات، وعليه فإن فعل الخيرات من أقرب الطرق لإجابة الدعاء، وهو صورة من صور الأخذ بالأسباب، وبالجمع بين الأخذ بالأسباب، والدعاء يتحقق التوكل، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

في هذا المنهج الرباني، الذي استعرضته سورة الأنبياء، دعوة إلى الاقتداء بأنبياء الله تعالى، وبإمامهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في عبادتهم وتبتلهم لله تعالى، وفي غيرتهم على دين الله تعالى وعملهم الدؤوب على نشره وتبليغه.

الكلمات الافتتاحية: – **دلائل – الدعاء – سورة الأنبياء – العبادة – الصبر**.

Evidence of supplication in Surat Al-Anbiya

Abdul Samad Ishaq Hamid
Department of the Holy Quran and its Sciences / College of Islamic Studies / American Open University / First Regional Center.
Email: -

Abstract:
One of the blessings of God to this nation that to make it a successor to the experience and Knowledge of past prophets; in faith and worship، advocacy and prayer and patience and other، making it a strong nation obstinate young patient on the scourge with renewed hopes of a great hope. Have given us the Holy Koran over the pages bright verses evidence finest images of intimacy in the prayer of the prophets and would stand in the hands of God; asking their needs، Allah answered their prayers، and spent God each need، sooner rather than later، and commended them for good Hmailhm، and the greatest initiative in do good things، and therefore do good ways from the nearest answer to prayer، a form of taking the means، and combining the introduction of the grounds and pray achieved trust، and trust in Allah، He will suffice.

In this approach the Lord، which was reviewed by Al-Anbiya، a call to follow the prophets of God، and their Imam Muhammad peace be upon him، in worship and Tpţlhm God، in their enthusiasm for the religion of God and hard work to be disseminated and communicated.

Keywords: - Evidence - Supplication - Surat Al-Anbiya - Worship – Patience.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، السراج المنير البشير النذير، الهادي إلى صراط الله المستقيم صلى الله عليه وعلى آله النجباء، وأصحابه الأوفياء، والتابعين الأصفياء، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

إن حاجات الإنسان متعددة ومشكلاته متجددة، تتجاذبه الأهواء، وتصادمه الصعوبات، وتناوشه سهام العداوة من النفس والإنسان والجن، هذا في شأن الأفراد. أما الأمة والجماعات ليست بأحسن حال، لأن الجهل يموج، والفقر ينتشر، والفرقة تظهر، والأعداء يتربصون بالأمة، ذيحملون الدمار، ويبطنون الحقد، وليس من سبيل للخروج من هذا المعترك المظلم إلا بالدعاء، لأن الدعاء مفتاح كل خير، مغلاق كل شر، مع الأخذ بالأسباب، وفعل الخير، لأن فعل الخير أقرب الطرق لإجابة الدعاء، وبالجمع بين الأخذ بالأسباب والدعاء يتحقق التوكل.

ليس في سورة الأنبياء دعاء صريح بهلاك الكفار، وإنما فيها التأكيد على أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، ومن هنا يظهر التناسب بين آيات السورة، والانسجام والتناسق العجيب في المعنى والمنهج والهدف، فكل نبي رحمة لقومه يحظى بها من آمن منهم ومحمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1].

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧

الدعاء في سورة الأنبياء فيه طابع الخصوصية، إذ أن مطلب كل نبي في السورة لحاجة خاصة به، ولما كانوا هم أعرف الخلق بالله فقد اشتملت السورة على جوامع الدعاء ولطائف الأنس والمناجاة، وفي ذلك تربية للمؤمن، لينهل من هذه الأدعية النبوية ما يناسب حاجته.

إن من نعم الله تعالى على هذه الأمة، أن جعلها وارثة لتجارب وعلوم ومعارف الأنبياء السابقين في التوحيد والدعوة والدعاء والصبر وغيره، وقد أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(١)، ومن أعظم الهدى الدعاء، لأن الدعاء عبادة، والعبادة هي الغاية من خلقهم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾(٢)

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث مما يتعلق به وهو كتاب الله تعالى ومكانة الدعاء وأهميته وحاجة الإنسان والأمة إليه لصلاح الدنيا والآخرة.

أهداف البحث:

١/ بيان أهمية الدعاء.

٢/ معرفة دعاء الأنبياء.

٣/ إثارة الاهتمام بالدعاء والحض عليه.

منهج البحث:

سأتبع في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي.

---

(١) سورة الأنعام: ٩٠.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

حدود البحث:

١. ركزت في هذه الدراسة على دعاء الأنبياء الوارد في السورة، والأنبياء هم: إبراهيم، وأيوب، ويونس، وزكريا، عليهم السلام، مع العلم بأن أوجها أخرى من الدعاء قد وردت في غيرها من سور القرآن الكريم، بما يمكن أن يشكل دراسات مماثلة، تثري هذا الموضوع الهام في حياة العباد.

٢. غضضت الطرف عن تناول القصص، وحصرت اهتمامي بالدعاء

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

التمهيد: ويشتمل على معنى الدلائل، ومعني الدعاء في اللغة والاصطلاح، وتعريف بسورة الأنبياء وبيان فضلها، وبعض ما اشتملت عليه.

المبحث الأول: دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني: دعاء نبي الله أيوب عليه السلام.

المبحث الثالث: دعاء نبي الله ذا النون عليه السلام.

المبحث الرابع: دعاء نبي الله زكريا عليه السلام.

المبحث الخامس: من شمائل الأنبياء عليهم السلام.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات

التمهيد

معنى الدلائل في اللغة:

الدلائل في اللغة: جمع دليلةٍ أو دلالةٍ ويجمع الدلالةُ على دلالاتٍ، والدليل ما يستدل به والدليل والدالُ، وقد دله على الطريق يدله دلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أعلى.(١)

معنى الدعاء في اللغة:

والدعاء في اللغة: دعوت الله أدعوهُ دعاءً ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير(٢). ودعوت فلاناً، أي صحتُ به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاءً. والدعوةُ المرةُ الواحدة، والدعاءُ: واحد الأدعيةِ، وأصله دعاوٌ(٣).

معنى الدعاء في الاصطلاح:

أما معنى الدعاء في الاصطلاح، مَسْأَلَةَ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَمَا وَعَدَ أَوْلِيَاؤَهُ عَلَى طَاعَتِهِمْ بِعِلْمِهِمْ بِطَاعَتِهِ(٤)

---

(١) ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي؛ لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١: (٢٤٧/١١) مادة، دل، الزَّبيدي؛ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية: (١/ ٧٠٦٧)، مادة، د ل ل.

(٢) الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت: (٢٢٥/٣)، مادة د ع و.

(٣) الجوهري؛ إسماعيل بن حماد، الصِّحاح في اللغة، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٣: (٢٠٧/١)، مادة، دعا.

(٤) الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م): (٢٧٣/٣).

وجاءفي السنة عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الدعاء هو العبادة)[١] ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[٢]

وجاء في فتح الباري في معنى الحديث: أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الآخر: " الحج عرفة "[٣] أي معظم الحج وركنه الأكبر[٤].

وليس المقصود من الدعاء الإعلام، بل إظهار العبودية والذلة والانكسار، والرجوع إلى الله تعالى بالكلية[٥].

(١) أخرجه الترمذي؛ محمد بن عيسى سورة أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي الناشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق احمد محمد شاكر، وآخرون بدون طبعة بدون تاريخ، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب، ومن سورة البقرة، حديث رقم، (٢٩٦٩): (٢١١/٥). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة، غافر: ٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي؛ كتاب الحج، باب، ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، حديث رقم، (٨٩٨): (٢٢٨/٣). وجاء في سنن الترمزي، عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الحج عرفة هذا الحديث الْمعروف صح عند أهل الحديث بهذا الاسناد. أنظر، سنن الترمزي، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ط، (١٩٩٨ م)، كتاب المناقب، باب، في فضل الشام واليمن: (٢٥٧/٦).

(٤) ابن حجر؛ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، (بيروت لبنان ١٤١٦هـ): (١٨/ ٥٥).

(٥) الرازي؛ فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن التيمي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١(١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م): (١١٤/٣)

تعريف بسورة الأنبياء:

سورة الأنبياء حسب ترتيبها في المصحف، هي السورة الواحدة والعشرون، وآياتها اثنتا عشرة ومائة، وهي في الجزء السابع عشر من أجزاء القرآن الكريم كما أنها مكية النزول.

وسميت (بسورة الأنبياء)، لأن الله تعالى ذكر فيها طائفة من الأنبياء هم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ولوط، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وذو الكفل، وذو النون، وزكريا، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وجاء في ختام السورة أن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

فضل سورة الأنبياء:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأُولِ وهن من تِلادِي)[١]. أراد بالعتاق الأُولِ السور التي أُنزلت أولاً بمكة، وأنها من أول ما تعلمه من القرآن[٢].

ومعنى قوله وهن من تلادي: أي من أول ما أخذته وتعلمتُه بمكة، والتَّالد: المال القديم الذي وُلد عندك وهو نقيض الطارف[٣]. والطِّرْفُ من مال الرّجل، هو: الطّارف والمستطرف الذي قد استفاده، ولم يكن أَصْليّا من مِيراثٍ ولا اعتقار قبل ذلك[٤].

---

(١) أخرجه البخاري؛ محمد بن اسماعيل أبو عبدالله الجعفي، تقديم الشيخ احمد محمد شاكر، دار الجيل بيروت، كتاب فضائل القرآن، باب، تأليف القرآن، حديث رقم، (٤٩٩٤): (١٨٥/٦).

(٢) ابن الجزري؛ أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، (١٣٩٩هـ -١٩٧٩م)، تحقيق طاهر احمد الزاوي- محمود محمد الطناحي: (٣٨٩/٢)، باب العين مع التاء.

(٣) ابن الجزري؛ المرجع نفسه: (٥٢٦/١).

(٤) الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: (٤١٥/٧)، باب، ط ر ف.

هذه السورة وأخواتها محل اعتزاز هذا الصحابي الجليل، كيف لا وهن مصابيح الهداية، التي أضاءت قلبه فتفتق إيمانا وعلماً وهدىً.

بعض مما اشتملت عليه السورة:

- بدأت سورة الأنبياء بداية شديدة في التحذير من مرض الغفلة وما يترتب عليها من اللعب ولهو القلوب. قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٣﴾[1] ثلاث آيات متتالية تحذر من هذا المرض لأن من أعراضه الإعراض عن الحق، والانصراف نحو اللعب و اللهو.
- تدور سورة الأنبياء حول معنى القدوة، ونركز على ناحيتين مضيئتين في حياة كل نبي، طاعته وعبادته وخشيته لله تعالى، ثم دعوته وإصلاحه في قومه، فهي بذلك تقدم النموذج الأمثل في حسن التعامل مع الله وفي حسن التعامل مع الناس، أي في العبادة والدعوة إلى الله.
- دعاء الأنبياء وخشوعهم وخضوعهم والانسجام والتناسق والتناسب بين الألفاظ والأحوال والاستجابة يؤكد وحدة رسالتهم وتكامل دعواتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾[2]. فأمة الأنبياء أمة واحدة، وكل نبي له دور في بناء الدين، ليأتي خاتم الأنبياء والمرسلين ويكمل بناء الدين، وفي بيان هذا المعنى جاء الحديث النبوي الشريف: " مثلي ومثل الأنبياء، كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا

(١) سورة، الانبياء: ١-٣.

(٢) سورة، الانبياء: ٩٢.

موضع اللبنة، قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء "[1].

- بينت السورة أن كل نبي بعث إلى قومه خاصة، مؤكدة عمومية رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[2] أي لجميع الخلق.

ولأن السورة بدأت بخطورة مرض الغفلة و كانت آياتها في الختام شديدة، تهز القلوب لتوقظها من غفلتها، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾[3].

وفي هذا المنهج الرباني، الذي استعرضته سورة الأنبياء، دعوة الى الاقتداء بأنبياء الله تعالى، وبإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم، في عبادتهم وتبتلهم لله تعالى، وفي غيرتهم لدين الله تعالى وعملهم الدؤوب على نشره وتبليغه.

(١) أخرجه مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ (١٣٧٥هـ- م١٩٥٥)، كتاب الفضائل، باب، ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، حديث رقم، (٢٢٨٧): (١٧٩١/٤).

(٢) سورة، الانبياء: ١٠٧.

(٣)- سورة، الانبياء: ١٠٤.

المبحث الأول: دعاء نبي الله ابراهيم علي السلام

﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [سورة الأنبياء: ٥١-٧٠].

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾(١).

(١) سورة، الانبياء: ٦٨-٧٠.

جاء في تفسير القرآن العظيم أنه عرض له جبريل وهو في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى[١].

وجاء في الجامع لأحكام القرآن: ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع، فاستقبله جبريل، فقال يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: " أما إليك فلا "، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: " حسبي من سؤالي علمه بحالي "[٢]

أقول قول نبي الله إبراهيم عليه السلام: " حسبي من سؤالي علمه بحالي " فيه من استحضار المعية ومطلق الثقة في طلاقة القدرة ومن كان الله معه فلا غالب له، وهذا عين السؤال بل أبلغه، وقد شهدت آيات القرآن الكريم بسؤال إبراهيم في مواطن كثيرة، وفي السنة النبوية المطهرة شواهد لهذا الأثر.

روى البخاري عن البراء بن عازب عن أبي بكر رضي الله عنه، في حديث طويل عن الهجرة فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: « **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** » فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا[٣]، وعَنْ أَنَسٌ قال: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قال كنت مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قلت يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما[٤].

---

(١) ابن كثير؛ أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ط٢، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م): (٣٥١/٥).

(٢) القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م): (٣٠٣/١١).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب المناقب، باب، علامات النبوة، حديث رقم، (٣٦١٥): (٢٠١/٤).

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب التفسير، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم، (٣٦١٥): (٤/ ٢٠١).

جاء في فتح الباري: ومعنى ثالثهما: ناصرهما ومعينهما وإلا فالله ثالث كل اثنين بعلمه، وفي الحديث منقبة ظاهرة لأبي بكر(١).

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَأَبُو سَعِيدٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الغَارِ»(٢)

وعَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»(٣)

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** " حكاه لنا القرآن، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾(٤).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: " ما ظنك باثنين الله ثالثهما " جاءت به السنة المطهرة، و ليس في القولين صريح دعاء، ولكن فيهما الثقة الكاملة في معية الله تعالى، وهذا شأن الأنبياء عند تعطل الأسباب، ونفاد الحيل كما جاء في القرآن عن نبي الله

(١) ابن حجر؛ مصدر سابق: (٤٤٩/١٠).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب، مناقب المهاجرين وفضلهم: (٣/٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب، مناقب المهاجرين وفضلهم، حديث رقم، (٣٦٥٣): (٤/٥).

(٤) سورة، التوبة: ٤٠.

موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾(١).

وقد جاءت السنة بالخبر اليقين عن ما سكت عنه القرآن من دعاء إبراهيم عليه السلام حينما ألقي في النار، ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار " حسبي الله ونعم الوكيل "(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، (" **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** " قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾**﴾(٣)(٤).

عظم شأن هذه الكلمة **(حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)** أنها قول نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقول نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد.

وعن ابن عباس: إنما نجا بقوله" حسبي الله ونعم الوكيل "(٥).

قوله: " حسبي الله " يعني: كافينا الله. " ونعم الوكيل " يعني: ونعم الوكيل ربنا، هذه كلمة عظيمة قالها إبراهيم عليه السلام في الكرب، وقالها أيضا النبي عليه الصلاة

(١) سورة، الشعراء: ٦١ – ٦٢.

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب التفسير، باب، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، حديث رقم، (٤٥٦٤): (٦ / ٣٩).

(٣) سورة، آل عمران: ١٧٣.

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب التفسير، باب، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، حديث رقم، (٤٥٦٣): (٣٩/٦).

(٥) النسفي؛ عبد الله ابن احمد النسفي، مدارك التنزيل دار النفائس بدون طبعة وبدون تاريخ: (٣٣١/٢)، وانظر الزمخشري، أبو القاسم محمود عمر بن احمد جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي ط١(١٤١٧هـ ١٩٩٧م): (٢٤٣/١٤).

والسلام. فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ قال بعض العلماء: جعل الله فيها برداً يرفع حرها، وحراً يرفع بردها فصارت سلاماً عليه[1]. فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله" وسلاماً" سلم من الموت ببردها[2].

إن نجاة نبي الله إبراهيم عليه السلام من النار ثمرة من ثمرات هذا الدعاء العظيم " حسبي الله ونعم الوكيل " وهومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند الشدائد، بل إن هذا الدعاء أمره به الرحمن، كما نص بذلك القرآن قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[3].

وهذا يبين عظم هذه الكلمة وهي قول المؤمن " حسبنا الله ونعم الوكيل "، فإذا حقق العبد التوكل على الله وحققه في القلب فقد حقق هذا النوع من توحيد التوكل في النفس، فإن العبد إذا أعظم رجاءه في الله، وأكمل توكله على الله، فإنه وإن كادته السماوات والأرض ومن فيهن فإن الله سيجعل له من أمره يسرا، وسيجعل له من بينها مخرجا.

جاء في كتاب فيض القدير، أن (حسبي الله ونعم الوكيل) أي النطق بهذا اللفظ مع اعتقاد معناه بالقلب والإخلاص وقوة الرجاء (أمان لكل خائف)، أليس الله بكاف عبده؟ ومن يتوكل على الله فهو حسبه فمتى اعتقد العبد أن لا فاعل إلا الله، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وفقر وغنى هو المنفرد به، اكتفى به عن كل موجود ولم ينظر إلى غيره بل كان منه خوفه ورجاؤه وبه ثقته وعليه اتكاله وكفى بالله وكيلا[4].

---

(١) تفسير القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن: (٣٠٤/١١).

(٢) المحلى؛ جلال الدين محمد بن احمد المحلي، والسيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، دار الحديث القاهرة ط١: (٥١/٦).

(٣) سورة، التوبة: ١٢٩.

(٤) المناوي؛ عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية مصر ط١، (١٣٥٦هـ): (٥٠٨/٣).

هذا الدعاء العظيم ينبغي أن تلهج به ألسنة الأمة أفرادا وجماعات وقادة. فهو السبيل للخروج من كل الأزمات التي تعيشها خاصة كانت أم عامة، وذلك بالخروج من الحالة الإنهزامية في مواجهة الأعداء، متسلحين بهذا الدعاء، آخذين بالأسباب من أساليب ووسائل الإعداد المعنوي والمادي، والحض على تحريك الأمة للانفكاك من عقال الهوى، وقيود الهوان، إلى عمل جاد لبناء نهضة حقيقية في جميع ميادين الحياة. علماً بأن الأمة تملك من المقومات مالا تملكها غيرها من الأمم، وقبل ذلك وفوق ذلك الموجهات النورانية النابعة من الكتاب العزيز والسنة النبوية الطاهرة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ » قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[1].

وعن مَالِكٌ بن أنس أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ[2].

فلو أن قادة الأمة يذكرون الله بهذا الدعاء في الملمات، والمشكلات المعضلات بصدقٍ وإخلاص، مع حسن الظن بالله تعالى، وإعداد العدة اللازمة، لكتب الله تعالى النصر للأمة بإذنه، وتاه أعداء الله في شتات الأرض، وصاروا أثراً بعد عين، ولكن نحن

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب الحج، باب، حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حديث رقم، (١٢١٨): (٨٩٠/٢).

(٢) أخرجه مالك؛ الأصبحي؛ مالك بن أنس بن مالك، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، كتاب القدر، باب، النهي عن القول بالقدر، حديث رقم، (١٣٩٥): (٣٧١/٥). قال الإمام الزرقاني: مر أن بلاغه صحيح كما قال ابن عيينة، وقد أخرجه ابن عبد البر من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، وعزاه للحاكم. أنظر ابن الأثير؛ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المتوفى سنة (٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول تحقيق، عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني،، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان ط١، كتاب، الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاعتصام بهما: (٢٧٧/١).

في عصر تجد كثيراً من الناس، لا أقول جلهم يجهلون قصار السور ناهيك عن آيات الاستدلال، ونفائس الدعاء.

أقول ذلك ليس من قبيل النصح أو التوجيه، فللنصح رجاله وللتوجيه أهله، ولكني ألفت نظر طلاب العلم والباحثين والحادبين على مصلحة الأمة إلى افتقار الخطاب السياسي والاقتصادي وغيره إلى نور هدى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو الموجه الحقيقي لحياة الأمة، وكأننا ننطلق من فراغ، في حين أن كثيراً من الأمم حولنا يتمسكون ويديرون شئون حياتهم بموجهات معتقداتهم الباطلة وعقائدهم المنحرفة.

من الدلائل التي اشتمل عليها هذا الدعاء:

١. أن نبي الله إبراهيم عليه السلام اكتفى بالله تعالى عن كل ما سواه مع تمام التفويض والرضا بقدر الله.

٢. أن نبي الله إبراهيم عليه السلام لم ينتقم لنفسه، ولم يتشف من قومه بالدعاء عليهم بالهلاك، مع أنهم كانوا يستحقون ذلك لعظم مكرهم به، وشدة ظلمهم له، لأنه كان رحيما لين القلب.

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَلَا قَوْلَه تعالى فِي إِبْرَاهِيمَ " رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي " الْآيَةَ، وقول عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ اللهُ، فَقَالَ اللهُ تعالى: " يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ"(١).

هَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْفَوَائِدِ مِنْهَا: بَيَانُ كَمَالِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَاعْتِنَائِهِ بِمَصَالِحِهِمْ، وَاهْتِمَامِهِ بِأَمْرِهِمْ وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب الإيمان، باب، دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وبكائه شفقة عليهم، حديث رقم، (٢٠٢): (١/١٩١).

فِي الدُّعَاءِ، وَمِنْهَا: الْبِشَارَةُ الْعَظِيمَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ – زَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى شَرَفًا – بِمَا وَعَدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ وَهَذَا مِنْ أرجى الْأَحَادِيثِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ أَرْجَاهَا، وَمِنْهَا: بَيَانُ عِظَمِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ لُطْفِهِ سُبْحَانَهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ جِبْرِيلَ لِسُؤَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِظْهَارُ شَرَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى فَيُسْتَرْضَى وَيُكْرَمُ بِمَا يُرْضِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ(١).

فائدة:

١. الأمر بقتل الوزغ، عَنْ سعيد بن المسيب، عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ "(٢)وعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ وَسَمَّاهُ فُوَيْسِقًا(٣)..

٢. النقش على الخاتم، وكان نقش خاتم الزهري " محمد يسأل الله العافية " وكان نقش خاتم مالك "حسبي الله ونعم الوكيل"(٤).

(١) النووي؛ أبو زكريا يحي بن شرف بن مري، شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتاب العربي بيروت، طبعة (١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م)، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (٣٤٨/١).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب، بدء الخلق، باب، قول الله تعالى: واتخذ الله ابراهيم خليلا، حديث رقم، (٣٣٥٩): (٤/ ١٤١).

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب السلام، باب، استحباب قتل الوزغ، حديث رقم، (٢٢٣٨): (٧٥٨/٤).

(٤) تفسير القرطبي، الجامع لأحجاك القرآن: (٨٨/١٠) وانظر الباجي، أبا الوليد سليمان بن خلف، المنتقى شرح الموطأ باب ما جاء في لبس الخاتم، حديث رقم، (١٤٦٨): (٣٥٠/٤).

المبحث الثاني: دعاء نبي الله أيوب عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1].

من دلائل هذا الدعاء:

١. **الشكوى إلى الله تعالى وحده**، وذلك من قوله: " أني مسني الضر " قال العلماء: ولم يكن قوله " مسني الضر " جزعاً، لأن الله تعالى قال: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾**﴾[2]. بل ذلك دعاء منه، والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله تعالى، والدعاء لا ينافي الرضاء[3].

الشكوى إلى الله تعالى هي من ألطف الدعاء لأنها سلوى الأنبياء والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام. قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾**﴾[4].

٢. **الأدب مع الله تعالى**: في قوله " **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ** " وقوله في موضع آخر: " **أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** "، حيث إنه لم ينسب الشر إلى الله تعالى علماً بأن الأفعال كلها خيرها وشرها. خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولا في خلق شيئ غيرها، ولكن الشر لا ينسب إليه ذكراً، وإن كان موجودا منه خلقاً، أدباً أدبنا به، وتعلمناه من الوحي ومنه قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾**﴾[5]. وقول

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٣ –٨٤.

(٢) سورة ص: ٤٤.

(٣) تفسير القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن: (١١/ ٣٢٥).

(٤) سورة، يوسف: ٨٦.

(٥) سورة، الشعراء: ٨٠.

الفتى لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[1] وبمثل هذا الأدب النبوي الرفيع كان دعاؤه صلى الله عليه وسلم.

جاء في الصحيح عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ[2]. قَوْلُهُ: (وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ فِيهِ الْإِرْشَادُ إِلَى الْأَدَبِ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَدْحِهِ بِأَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ مَحَاسِنُ الْأُمُورِ دُونَ مَسَاوِيهَا عَلَى جِهَةِ الْأَدَبِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: (وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) فَمِمَّا يَجِبُ تَأْوِيلُهُ لِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كُلَّ الْمُحْدَثَاتِ فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَخَلْقُهُ سَوَاءٌ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، وَحِينَئِذٍ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ وَفِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا مَعْنَاهُ: لَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْكَ قَالَهُ الخليل بن أحمد والنضر بن شميل واسحق بْنُ رَاهَوَيْهِ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ وَالْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ وَالثَّانِي: حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ عَنِ الْمُزَنِيِّ وَقَالَهُ غَيْرُهُ أَيْضًا مَعْنَاهُ لَا يُضَافُ إِلَيْكَ عَلَى انْفِرَادِهِ لَا يُقَالُ يَا خَالِقَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ وَيَا رَبَّ الشَّرِّ وَنَحْوُ هَذَا وَإِنْ كَانَ خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ الشَّرُّ فِي الْعُمُومِ وَالثَّالِثُ: مَعْنَاهُ وَالشَّرُّ لَا يَصْعَدُ إِلَيْكَ إِنَّمَا يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَالرَّابِعُ: مَعْنَاهُ وَالشَّرُّ لَيْسَ شَرًّا

(١) سورة، الكهف: ٦٣.

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب، الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم، (٧٧١): (٥٣٤/١).

بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكَ فَإِنَّكَ خَلَقْتَهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ وَإِنَّمَا هُوَ شَرٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ وَالْخَامِسُ: حَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ كقولك فلان إلى بني فلان إِذَا كَانَ عِدَادُهُ فِيهِمْ أَوْ صَفُّوهُ إِلَيْهِمْ(١).

٣- الثناء على الله تعالى بما هو أهله من قوله وأنت أرحم الراحمين قوله **(وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السؤال(٢). فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) وَكَانَ تَعَالَى خَيْرَ الْغَافِرِينَ لِأَنَّ غَيْرَهُ يَتَجَاوَزُ عَنِ الذَّنْبِ طَلَبًا لِلثَّنَاءِ أَوِ الثَّوَابِ أَوْ دَفْعًا لِلصِّفَةِ الْخَسِيسَةِ عَنِ الْقَلْبِ وَهِيَ صِفَةُ الْحِقْدِ وَالْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ غُفْرَانُهُ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ(٣). **(وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)**: أي أكثرهم رحمة وهذا تعريض منه بسؤال الرحمة(٤).

هذا الدعاء تعانق فيه الشكوى والأدب والثناء، شكوى من العبد الضعيف الى الرب القدير، وأدب وانكسار في حضرة الرب الكبير المتعال، وثناء جميل مع الاعتراف باستحقاق المنعم لذلك، لوسع رحمته وتجدد نعمه، فاستجاب الله دعاءه وتنزلت عليه الرحمة وتوالت عليه النعم.

قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾(٥)

وقد ذكر في شأن قصة أيوب وبلائه وصبره الكثير، أغنانا عن ايرادها ما ذكره القاضي ابو بكر ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَمْ يَصِحَّ عَنْ أَيُّوبَ فِي أَمْرِهِ إلَّا مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ فِي آيَتَيْنِ، الْأُولَى قَوْلُهُ تَعَالَى: " **(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ**

---

(١) النووي؛ شرح النووي على صحيح مسلم: (١٢١/٣).

(٢) البيضاوي؛ ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد، انوار التنزيل واسرار التأويل، دار الفكر: (٢١٥٩/٤).

(٣) أبو حيان؛ محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر بيروت، (١٤٢١ هـ - ١٩٩٢م): (٤٦٤/٥).

(٤) ابن الجوزي؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد الميسر في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط، ٣ (١٤٠٤هـ): (٣٥٤/٤).

(٥) سورة، الأنبياء: ٤٨.

الضُّرُّ"[1]. وَالثَّانِيَةُ فِي: " ص"" **أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ". وَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ أَنَّهُ ذَكَرَهُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ إِلَّا قَوْلُهُ: " بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ إِذْ خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ" الْحَدِيثُ). وَإِذْ لَمْ يَصِحَّ عَنْهُ فِيهِ قُرْآنٌ وَلَا سُنَّةٌ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ، فَمَنِ الَّذِي يُوصِلُ السَّامِعَ إِلَى أَيُّوبَ خَبَرُهُ، أَمْ عَلَى أَيِّ لِسَانٍ سَمِعَهُ؟ وَالْإِسْرَائِيلِيَّاتُ مَرْفُوضَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْبَتَاتِ، فَأَعْرِضْ عَنْ سُطُورِهَا بَصَرَكَ، وَأَصْمِمْ عَنْ سَمَاعِهَا أُذُنَيْكَ، فَإِنَّهَا لَا تُعْطِي فِكْرَكَ إِلَّا خَيَالًا، وَلَا تَزِيدُ فُؤَادَكَ إِلَّا خَبَالًا[2].

والحديث الذي أشار إليه ابن العربي رواه البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ "[3].

وقد تنزلت الرحمة على أيوب وتوالت عليه النعم، قال تعالى: ﴿**رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ** ﴿٨٤﴾﴾ فكل نعمة فهي رحمة من عند الله ومنة منه سبحانه على أصفيائه من خلقه، قال تعالى: ﴿**وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ** ﴿٨٤﴾﴾ أي: وَجَعَلْنَاهُ فِي ذَلِكَ قُدْوَةً لِئَلَّا يَظُنَّ أَهْلُ الْبَلَاءِ أَنَّمَا فَعَلْنَا بِهِمْ ذَلِكَ لِهَوَانِهِمْ عَلَيْنَا، وَلِيَتَأَسَّوْا بِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَقْدُورَاتِ اللَّهِ وَابْتِلَائِهِ لِعِبَادِهِ بِمَا يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك "[4].

﴿**وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ** ﴿٨٤﴾﴾ تذكرهم بالله وبلائه، ورحمته في البلاء وبعد البلاء. وإن في بلاء أيوب لمثلا للبشرية كلها وإن في صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها. وإنه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار. والإشارة «لِلْعابِدِينَ» بمناسبة البلاء إشارة لها مغزاها. فالعابدون معرضون للابتلاء والبلاء. وتلك تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة وتكاليف الإيمان.

---

(١) سورة، الأنبياء: ٨٣.

(٢) تفسير القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن: (٣٢٥/١١).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب الغسل، باب، من اغتسل عريانا، حديث رقم، (٢٧٩): (٦٤/١).

(٤) تفسير ابن كثير: (٣٦٣/٥).

وقصة ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام وصبره ومعافاته انتشر خبرها، حتى علمها العوام من الناس، ناهيك عن خواصهم، خبرا صادقا وحقيقة واقعة ومثالا حياً لا ينقضي بمضي وقته وزوال أثره بل يحتذى على مر الزمن يلتمسه ويقتدي به عباد الله الصالحين.

ومن نافلة القول أن نقول: إن الأنبياء هم أئمة العابدين، وإن إمام الأنبياء إمام العابدين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد نالوا من أنواع البلاء أعظمه.

والبلاء ليس مقتصرا علي الأنبياء فحسب، وإنما للمؤمن حظ فيه، ونصوص القرآن الكريم شاهدة بذلك، وفي السنة النبوية السلوى للمؤمنين لما يصيبهم من الابتلاء، إذ بينت أن كل ابتلاء ومصيبة يبتلى بها المسلم فهي كفارة له، لقوله عليه الصلاة والسلام: "مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ "(١). وفي صحيح مسلم عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً "(٢). وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ"(٣).

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب المرضى، باب، ما جاء في كفارة المرض، حديث رقم، (٥٦٤١): (١٤٩/٧).

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب البر والصلة والآداب، باب، ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حديث رقم، (٢٥٧٢): (١٩٩١/٤).

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب البر والصلة والآداب، باب، ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حديث رقم، (٢٥٧٣): (١٩٩٢/٤).

المبحث الثالث: دعاء نبي الله ذا النون عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[1] وقيل " **مُغَاضِبًا** " لقومه أغضبهم بمفارقته وتخوفهم حلول العذاب، وأغضبوه حين دعاهم إلى الله مدة فلم يجيبوه فأوعدهم العذاب، ثم خرج من بينهم على عادة الأنبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله له في الخروج[2]. وقول من قال " مغاضبا " لربه وحكى في المغاضبة لربه كيفيات يجب إطراحها إذ لا يناسب شئ منها منصب النبوة، وينبغي أن يتأول لمن قالل ذلك من العلماء كالحسن والشعبي وابن جبير وغيرهم من التابعين، وابن مسعود من الصحابة بأن يكون معنى قولهم " مغاضبا " لربه أي لأجل ربه ودينه، واللام لام العلة لا اللام الموصولة للمفعول به[3]. جاء في التفسير الكبير: (لا يجوز صرف المغاضبة إلى الله لِأَنَّ ذَلِكَ صِفَةُ مَنْ يَجْهَلُ كَوْنَ اللَّهِ مَالِكًا لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْجَاهِلُ بِاللَّهِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، ومغاضبته لقومه كانت غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله)[4]. أ هـ **وقوله تعالى** ﴿**فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ**﴾ أي نضيق عليه من القدر لا من القدرة، وقيل من القدرة بمعنى ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ الابتلاء[5].

---

(١) سورة، الأنبياء: ٨٧ – ٨٨.

(٢) تفسير أبي حيان؛ البحر المحيط: (١٨٣/٨).

(٣) تفسير أبي حيان؛ البحر المحيط: (١٨٤/٨).

(٤) تفسير الرازي؛ التفسير الكبير: (٢١٤/٢٢).

(٥) تفسير أبي حيان؛ البحر المحيط: (١٨٤/٨).

البلاء: الاختبار بالخير ليتبين الشكر، وبالشر ليظهر الصبر، وقوله ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ قال ابن مسعود: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل(١).

من دلائل هذا الدعاء:

أنه اشتمل على ثلاثة عناصر إيمانية هامة هي: التوحيد، والتنزيه، والإقرار بظلم النفس.

١- **التوحيد: وذلك في قوله** ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾، أي لا إله إلا الله، ومعناها لا معبود بحق إلا الله. وهي كلمة التوحيد، وهي العروة الوثقى، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾(٢)، ولا إله إلا الله، هي كلمة التقوى، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾(٣).

هذه الكلمة العظيمة تقتضي اخلاص العبادة لله وحده، ونفيها عما سواه، ولا تنفع قائلها حتى يتحقق فيه أمران:

١- قوله لا إله إلا الله عن اعتقاد وعلم ويقين وتصديق ومحبة.

٢- الكفر بما يعبد من دون الله،

فمن قال هذه الشهادة ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم ينفعه هذا القول.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣٦٧/٥).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة، الفتح: ٢٦.

وقول: (لا إله إلا الله) مع تحقق معناها هو أول واجب على كل شخص، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[1]. ومن عظمة هذه الكلمة (لا إله إلا الله) أنها آخر واجب، لأن الموت عليها سبب للسعادة الأبدية، وعن عثمان بن عفان قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ"[2] ولذا فإن وجوب معرفة (لا إله إلا الله) أعظم الواجبات وأهمها، فالله تعالى هو الإله الذي تعبده القلوب محبة وإجلالاً وتعظيما، وذلاً وخضوعاً وخوفاً وتوكلاً عليه، وليس للقلوب أن تنعم بالسرور أو تذوق طعم السعادة إلا بتحقيق معنى لا إله إلا الله، فالسرور التام والحياة الطيبة والنعيم إنما هو في إفراد الله تعالى بالعبادة. فطوبى لمن قالها بصدق في حياته ويقين عند وفاته.

هذه الكلمة العظيمة المشرفة (لا إله إلا الله) فهي للسقم دواء، وهي للضعف قوة، بها تفتح القلوب المغلقة، وبذكرها تطمئن القلوب المؤمنة، ولها تنشرح الصدور، وترتاح النفوس، وتنجلي الكروب، وكان يدعو بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الكرب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَلِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: " لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ "[3].

---

(١) سورة، محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ١٩.

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب الإيمان، باب، من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك دخل الجنة، حديث رقم، (٢٦): (٥٥/١).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، حديث رقم، (٦٣٤٥): (٧٥/٨).

وعن مالك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ " أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْت أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ "[1] قَوْلُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ – أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ يُرِيدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَكْثَرُ ثَوَابًا لِلدَّاعِي وَأَقْرَبُ إلَى الْإِجَابَةِ فَإِنَّ الْفَضْلَ لِلدَّاعِي إنَّمَا هُوَ فِي كَثْرَةِ الثَّوَابِ وَكَثْرَةِ الْإِجَابَةِ. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَفْضَلُ مَا قُلْت أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)، يُرِيدُ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنْ غَيْرِهِ مِنْ الْأَذْكَارِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ: أَنَّهُ أَفْضَلُ مَا دَعَا إلَيْهِ إلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ أَظْهَرُ؛ لِأَنَّهُ أَوْرَدَ ذَلِكَ فِي تَفْضِيلِ الْأَذْكَارِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَخُصَّ هَذَا الدُّعَاءَ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مَا دَعَا بِهِ هُوَ وَالنَّبِيُّونَ قَبْلَهُ يَعْنِي أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَدْعُونَ بِأَفْضَلِ الدُّعَاءِ، وَيَهْدُونَ إلَيْهِ فَإِذَا كَانَ أَفْضَلُ دُعَائِهِمْ فَهُوَ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ. "[2].

٢– التنزيه: وذلك من قوله: **(سُبْحَانَكَ)**.

التسبيح في اللغة: جاء في لسان العرب (سبح: السبح والسباحة: العوم، سبح النهر وفيه يسبح سبحاً وسباحة)، ثم قال (والتسبيح التنزيه). وَسُبْحَانَ اللَّهِ: مَعْنَاهُ تَنْزِيهًا لِلَّهِ مِنَ

(١) أخرجه الإمام مالك؛ كتاب الحج، باب ما جاء في الدعاء، حديث رقم، (|٤٩٩): (١٥٠/٢)، قال الجوهري: وهذا حديث مرسل، مسند الموطأ للجوهري؛ أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ الغَافِقِيُّ، الجَوْهَرِيُّ المالكي (المتوفى: ٣٨١هـ) تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، (١٩٩٧ م)، الجزء الثاني، بَابُ: الزَّايِ، مَا رَوَى مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (٣٣٨/١). وفي مسند الإمام أحمد، هذا حديث مرسل صحيح، أنظر مسند بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م)، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب، مسند عيد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (٥٤٩/١١).

(٢) الباجي؛ مصدر سابق: (٩/٣).

الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، وَقِيلَ: تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَن يُوصَفَ...، ثم قَالَ: (وَسُبْحَانَ فِي اللُّغَةِ تَنْزِيهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَنِ السُّوءِ)[1]. ومعناها في الشرع: (تنزيه الله جلَ وعلا عن كل ما لا يليق بجلال كماله، ومعنى سبح نزه ربك جلَ وعلا عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله[2]، فقوله: **(سُبْحَانَكَ)** أي: أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن يعجزك شئ أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي[3]. وجاء في آية اخرى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة الصافات: ١٤٣-١٤٤].[4] قوله من المسبحين أي: من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح[5] وقيل من المصلين فإنه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة في الرخاء وفيه حث على اثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أُخذ بيده عند الضراء[6]. قال الشوكاني: في الآية ترغيب في ذكر الله، وتنشيط للذاكرين له)[7] أ هـ. قوله: (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون): لصار بطن الحوت له قبراً الى يوم القيامة[8].

(١) ابن منظور؛ لسان العرب، مصدر سابق: (٤٧٠/٢)، فصل السين.

(٢) الشنقيطي؛ محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكتبة ابن تيمية القاهرة طبعة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م): (١٨٣/٣).

(٣) أبو السعود؛ محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (٤٣٣/٤).

(٤) سورة، الصافات: ٤٣-٤٤.

(٥) النسفي؛ عبد الله بن احمد، مدارك التنزيل: (٢٠١/٣).

(٦) تفسير أبي السعود: (٤٥٤/٤).

(٧) الشوكاني؛ محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المكتبة العصرية بيروت، (١٤ ١٧هـ/١٩٩٧م): (٥٠٤/٤).

(٨) تفسير البغوي: (٦٠/٧).

وقد جاء التسبيح مقترناً بالحمد كما في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[1].

قوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي: في حال كونك متلبساً بحمد ربك، أي بالثناء عليه بجميع ما هو أهله من صفات الكمال والجلال[2]. وسمعت شيخي وأستاذي الشيخ محمد علي الطريفي رحمه الله تعالى يقول: السبح في اللغة هو المر السريع في الماء أو الهواء، ومن قال: (سبحان الله) كأنه سارع في تنزيه الله عن كل ما يليق به[3]. أ هـ

ولما كان التسبيح تنزيه الله تعالى عن صفات النقص، والحمد اثبات لصفات المدح بالكمال والجلال لله تعالى، كان التسبيح المقرون بالحمد شأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد روى البخاري عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (مَا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: "سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي"[4].

وجاء في الصحيح أيضاً عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي "، يتأول القرآن[5]، ومعنى يتأول القرآن أي (يفعل ما أمره فيه)[6]. وجاء في فتح

---

(١) سورة، النصر: ٣.

(٢) تفسير الشنقيطي؛ أضواء البيان: (١٨٣/٣).

(٣) درس الشيخ بمسجد الحارة الثالثة بمدينة الثورة بام درمان. – السودان، في اواخر العقد الأخير من القرن الميلادي الماضي. الشيخ محمد علي الطريفي، عالم ورع مفسر فقيه ولغوي، أفاض على كثير من بني أمته من رصين علمه وعذب منطقه وحسن تواضعه ما تقر به العين ويطمئن له القلب رحمه الله تعالى.

(٤) البخاري؛ كتاب التفسير، باب، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، حديث رقم، (٤٩٦٧): (١٧٨/٦).

(٥) البخاري؛ كتاب التفسير، باب، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، حديث رقم، (٤٩٦٨): (١٧٨/٦).

(٦) ابن حجر، فتح الباري: (٥٦٠/٢).

الباري أيضاً (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِسَبِّحْ نَفْسَ الْحَمْدِ لِمَا تَضَمَّنَهُ الْحَمْدُ مِنْ مَعْنَى التَّسْبِيحِ الَّذِي هُوَ التَّنْزِيهُ لِاقْتِضَاءِ الْحَمْدِ نِسْبَةَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودِ عَلَيْهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَعَلَى هَذَا يَكْفِي فِي امْتِثَالِ الْأَمْرِ الِاقْتِصَارُ عَلَى الْحَمد وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فَسَبِّحْ مُتَلَبِّسًا بِالْحَمْدِ فَلَا يَمْتَثِلُ حَتَّى يَجْمَعَهُمَا وَهُوَ الظَّاهِرُ)[1]. أ هـ

ولقد لزم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا التوجيه الرباني، أي: التسبيح (التسبيح والحمد)، لأن في ذلك العلاج الشافي لكشف الهم والغم من القلوب، وانشراح الصدور وزوال كل اسباب الضيق، قال الشوكاني رحمه الله: (فإنك إذا فعلت ذلك كشف الله همك وأذهب غمك وشرح صدرك)[2].

كما اقترن التسبيح بالحمد فقد اقترن بصفة العلو كقوله تعالى:: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[3] واقترن بالتعظيم كقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[4]، واقترن بالعزة كقوله تعالى:: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾[5]

قال الحافظ ابن حجر جاء في البرهان:) سبح لله) هذه الكلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها(**سُبْحَانَ**) في بني اسرائيل لأنه الأصل؛ ثم بالماضي (**سَبَّحَ**)، في الحديد والحشر والصف، لأنه أسبق الزمانين، ثم المستقبل، (**يُسَبِّحُ**) في الجمعة والتغابن، ثم الأمر (**سَبِّحِ**) في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمستقبل، والأمر المخاطب، فهذه أعجوبة وبرهان)[6] أ هـ.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري: (٢/٥٦٠).

(٢) تفسير الشوكاني: (٣/١٧٩).

(٣) سورة، الأعلى: ١.

(٤) سورة، الواقعة: ٧٤ و٩٦، وسورة الحاقة: ٥٢.

(٥) سورة، الصافات: ١٨٠.

(٦) ابن حجر، فتح الباري: (٢/٥٦٠).

فأمر التسبيح عظيم، وسره عجيب، فالرعد يسبح، وكذا الملائكة قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾[1] وكذا الجبال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[2] ومعنى **(أَوِّبِي)**: سبحي[3]

٣- **الاعتراف بظلم النفس**: وذلك في قوله: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

قوله: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾، أي لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي[4]

قال أبو السعود في قوله: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾: لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت إلى المهاجرة[5] أ هـ وعن الحسن: ما نجاه والله إلا اقراره على نفسه بالظلم ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ غم الذلة، والوحشة، والوحدة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[6] أ هـ.

والاعتراف بظلم النفس استغفار ضمني، فيه تذلل وخضوع واعتراف بالتقصير تجاه الرب العلي القدير، وهو ذكر العارفين ونزهة الواصلين وشعار ودثار الأنبياء والمرسلين وفيه تنزيه لرب العالمين عن الظلم واضافته لنفسه ومثل ذلك ما كان من أبينا آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة فكان من لطف الله ورحمته به أن ألهمه كلمات كانت مفتاح توبته، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

---

(١) سورة الرعد: ١٣.

(٢) سورة سبأ: ١٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب: (٦/ ١٤٤)، مادة أ ب.

(٤) تفسير النسفي: (٣/٣٣٧).

(٥) تفسير ابي السعود: (٣/٣٣٧).

(٦) تفسير النسفي: (٣/٣٣٧).

﴿٣٧﴾﴾[١]، وقد جاء بيان هذه الكلمات في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[٢] وقد كانت هذه الكلمات هي المنقذة لآدم عليه السلام، وبمثلها قال موسى عليه السلام طلبا للمغفرة قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾[٣]، بل إن الاعتراف بظلم النفس من التعاليم الجليلة والتوجيهات النبيلة التي علمها رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحب وأخلص الناس إليه، أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد جاء عنه رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ "[٤]

من خلال هذه الدراسة لدعاء نبي الله يونس عليه السلام تتجلى لنا عظمة هذا الدعاء وما اشتمل عليه من ألفاظ وضاءة ذات دلالات إيمانية بليغة غرسها التوحيد، قوامها التنزيه، وثمارها الاستغفار، روى الحاكم مستدركه عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، إِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ بِهَا**"[٥]

---

(١) سورة، البقرة: ٣٧.

(٢) سورة، الأعراف: ٢٣.

(٣) سورة، القصص: ١٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، حديث رقم، (٦٣٢٦): (٧٢/٨).

(٥) أخرجه الحاكم؛ أبو عبد الله محمد عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري؛ المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١١ هـ – ١٩٩٠م)، =

هذه البشرى النبوية المباركة حملتها آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[1]، وجاء تأكيد هذا المعنى أيضا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾[2]، وجاء في صفوة التفاسير كما نجينا يونس من تلك المحنة ننجي المؤمنين من الشدائد والأهوال إذا استغاثوا بنا.[3]

كتاب التفسير، باب، تفسير سورة الأنبياء، حديث رقم: (٣٤٤٤)، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ: (٢/٤١٤).

(١) سورة، الأنبياء: ٨٨.

(٢) سورة يونس: ١٠٣.

(٣) الصابوني؛ محمد بن علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم بيروت، ط٤، (١٤٠٢ هـ ١٩٨١م): (٢/٢٧٣).

المبحث الرابع: دعاء نبي الله زكريا عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾[1]

من دلائل هذا الدعاء:

١- اشتمل على اظهار الضعف والانكسار والتبري من قوة النفس وذلك في صورة الدعاء وكيفيته قال تعالى: ﴿**وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ**﴾ وفي موضع آخر بين كيفية هذا النداء قال تعالى: ﴿**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾**﴾[2] قال ابن كثير: أي خفية من قومه[3]. أ هـ، وجاء في التفسير الكبير وهو يدل على أن أفضل الدعاء ما هذا حاله، ويؤكد قوله: ﴿**ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾[4]، ولأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار، وَعُمْدَةُ الدُّعَاءِ الِانْكِسَارُ وَالتَّبَرِّي عَنْ حَوْلِ النَّفْسِ وَقُوَّتِهَا وَالِاعْتِمَادُ عَلَى فضل الله تعالى وإحسانه.[5]

٢- من دلائل هذا الدعاء، الحرص على الدين، لأنه الغاية العظمى من طلب الولد، ليرث النبوة والعلم والقيام بواجب استمرار الدعوة إلى دين الله تعالى دون انقطاع، كما

---

(١) سورة، الأنبياء: ٨٩ -٩٠.

(٢) سورة، مريم: ٣.

(٣) تفسير ابن كثير: (٥ / ٣٧٠).

(٤) سورة، الأعراف: ٥٥.

(٥) تفسير الرازي: (١٠ /٢٧٩).

جاء قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[1]

ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾، أي: لا ولد لي ولا وارث يقوم بعدي في الناس،[2]. أي: وحيدا بلا ولد يرثني كما يشعر به التذييل بقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ ولو كان المراد بلا ولد يصاحبني ويعاونني لقيل وانت خير المعين[3].

هذا النبي الكريم زكريا عليه السلام يحمل هم الدين والقيام بأمره بعد وفاته، لأن الأنبياء لا يورثون درهما ولا ديناراً.

٣- من الدلائل التي يشتمل عليها هذا الدعاء النبوي، عظيم الثناء على الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ أي خير من يبقى بعد كل من يموت[4].

فيه ثناء على الله تعالى بأنه الباقي بعد فناء الخلق وهو خير الوارثين لأن كل من يرث يورث إلا الباري سبحانه فإنه يرث ولا يورث، وبهذا الدعاء العظيم و ما فيه من تذلل لله تعالى وثناء عليه بما هو أهل له استمطر نبي الله زكريا عليه السلام رحمة الله فنال المقصود وظفر بالمطلوب قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾[5].

---

(١) سورة، الأنبياء: ٨٩.

(٢)- تفسير ابن كثير: (٥ / ٣٧٠).

(٣) الألوسي؛ أبو الفضل، محمود بن عبد الله الحسيني البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر بيروت: (٥ / ٣٧٠).

(٤) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (١١ /٣٣٦).

(٥) سورة، الأنبياء: ٩٠

قال ابن عادل: قال ابن عباس: كان سنه مائة سنة، وسن زوجته تسعاً وتسعين، ﴿فاستجبنا لَهُۥ﴾ أي: فعلنا ما أراده بسؤاله، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ ولداً صالحاً ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ أي: جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً. قاله أكثر المفسرين وقيل: كانت سيئة الخلق سلطة اللسان فأصلح الله خُلقها. وقيل: جعلها مصلحة في الدين، فإن صلاحها في الدين من أكبر أعوانه، لأنه يكون إعانة في الدين والدنيا واعلم أنَّ قوله ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ يدل على أن الواو لا تفيد الترتيب، لأنَّ إصلاح الزوج مقدم على هبة الولد مع أنه تعالى أخره في اللفظ.(١). أ هـ.

وذكر في روح المعاني: وقدم هبة يحيى مع توقفها على إصلاح الزوج للولادة لأنها المطلوب الأعظم(٢)

(١) ابن عادل؛ أبو حفص عمرو بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخين عادل احمد عيد الموجود، و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م): (٣٤٨/١١).

(٢) تفسير الألوسي: (٤٥٨/١٢).

المبحث الخامس: من شمائل الأنبياء عليهم السلام

لقد قدمت لنا سورة الأنبياء عبر صفحاتها المشرقة وآياتها البينة أروع صور المناجاة في دعاء الأنبياء ووقوفهم بين يدي الله تعالى، يسألونه حاجاتهم، فاستجاب الله دعاءهم، وقضى الله لكل منهم حاجته، عاجلاً ليس آجلا وأثنى عليهم لحسن شمائلهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[1]،

ومن هذه الشمائل على سبيل المثال لا الحصر:

١- **المسارعة في فعل الخيرات**: قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، ضمير الجمع في (إنهم) عائد على الأنبياء المذكورين في السورة وَقِيلَ: الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى زَكَرِيَّا وزَوْجَهُ وَابْنِهُمَا يَحْيَى.[2]

وذكر أبو السعود أن في هذه الآية تعليلاً لما فصلَ من فنون إحسانِه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين، أي كانوا يبادرون في وجوه الخيراتِ مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السرُّ في إيثارِ كلمةُ (في) على كلمة (إلى) المُشعرة بخلاف المقصودِ من كونهم خارجين عن أصل الخيراتِ متوجهين إليها كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[3].

وفي الآية ثناء على المبادرين في فعل الخير وبيان شاف دال على أن المبادرة في فعل الخير سبب لقبول الدعاء، وفي السنة النبوية ما يؤكد هذا المعنى، فقد أخرج البخاري عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٠.

(٢) تفسير أبي حيان: (١٨٣/٨).

(٣) تفسير أبي السعود: (٤٣٤/٤).

" خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ "(١)

والإسراع في عمل الخير من أجل الطاعات وأعظم القربات، وقد حض القرآن على فعل الخير والمبادرة إليه، وتنوع الخطاب القرآني في ذلك، قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب البيوع – باب، إذا اشترى لغيره بغير إذنه، حديث رقم، (٢٢١٥): (٧٩/٣).
(٢) سورة، الحديد: ٢١.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[1]، ذكر في أضواء البيان أن الشرع واللغة، دلا على اقتضاء الأمر المجرد الوجوب، وذلك يدل على أن قوله: ﴿وَسَابِقُوا﴾ وقوله﴿وَسَارِعُوا﴾، يدل على وجوب المبادرة إلى امتثال أوامر الله فوراً[2].

والمبادرة في فعل الخير على العموم تشمل فعل الطاعات، وترك المحرمات، ومن صور المبادرة في فعل الخير أن يبادر العالم بتعليم الجاهل، ويبادر الحاكم بنشر العدل، وسبل العيش الكريم للرعية، واسباب سعادتها وأن يبادر الطبيب برسم البسمة على شفاه المرضى، بل من ذلك غرس شجرة يستظل بها المارة، أو إماطة الأذى عن طريقهم، وغير ذلك كثير، وفي الأمر متسع، وكتب السنة غنية بهذه التوجيهات المباركة التي ينبغي أن تحرك الوجدان، ويظهر أثرها في واقع الحياة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ "[3].

وأما أصحاب المال ورجال الأعمال فهذا زمانهم، وميادين الخير كثيرة فسيحة تنتظر أياديهم البيضاء الممتدة بالعطاء، والأمة تنظر بأسىً بالغ وأكبادها تتقطع لما ترى وتسمع من أحوال اليتامى والأرامل والمشردين، والقائمة تطول بسبب تقلبات المناخ والحروب المفتعلة المنتشرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ،

(١) سورة، آل عمران: ١٣٣.

(٢) تفسير الشنقيطي؛ أضواء البيان: (٣٩٢/٤).

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب الإيمان، باب، بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، حديث رقم، (٥٨/٣٥): (٦٣/١).

يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أخيهِ)[1]

وفي الصحيح أيضاً: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ)[2]

وقد عني الإسلام باليتيم ورعايته والإحسان إليه، قالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا)[3].

فأصحاب المال ورجال الأعمال من بني الأمة أقدر على ذلك، وأولى به من غيرهم، أي أولى من جهات تدس السم في الخبز.

أجد نفسي قد استرسلت ولكني اسطر عبر هذه الأسطر صرخة بل أؤذن لعل منهم من يلبي، ولهم في أصحاب النبي اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المثل الأعلى، فعن أبي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ – أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: " وَمَا ذَاكَ؟ " قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب، فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم، (٢٦٩٩): (٤/ ٢٠٧٤).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم، (١٤٣٢): (١١٣/٢).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب الطلاق، باب اللعان، حديث رقم، (٥٣٠٤): (٥٣/٧).

مَرَّةً» قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ "(١).

٢- **الخوف والرجاء**: قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، الرَّغبُ والرُّغبُ والرَّغَبُ والرَّغبَة والرغبوت والرُّغبَى والرغبى والرغباء، الضراعة والمسالة(٢).. والرهب من: رهبت الشئ ارهبه رهبا ورهبة أي: خفته(٣).

فالأنبياء هم أعرف الناس بالله تعالى، عرفوا الله تعالى، فأحبوه ورغبوا فيما عنده، وعرفوا الله تعالى، فخافوه. عرفوا في ذات الله تعالى، صفات الرحمة والإحسان والعفو والمغفرة فاحبوه وعرفوا في ذات الله تعالى صفات القهر والانتقام والجبروت فوجلت قلوبهم فخافوه، فهم في حب وخوف ورغبة فكان هذا حالهم علي الدوام، وعند الدعاء والتجلي والمناجاة والدعاء أشد وهذا سبيل استجابة الدعاء.

٣- الخشوع بين يدي الله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ قال أبو السعود: اي مُخْبتين متضرعين أو دائمي الوجَل والمعنى أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافِهم بهذه الخصال الحميدة(٤). أ هـ

والخشوع هو الانكسار والتذلل بين يدي الله تعالى وهو سر مهم من أسرار استجابة الدعاء، والخشوع لا يقتصر على الدعاء فحسب، بل يشمل جميع الأحوال في العبادات والمعاملات، كالصلاة، والكسب الحلال و وترك الحرام ففي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم، (٥٩٥): (٤١٦/١).

(٢) ابن منظور: (٤٢٢/١)، مادة، (رغب).

(٣) ابن منظور: (٤٧/٤)، مادة، (رهب).،

(٤) تفسير أبي السعود: (٤٣٤/٤).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾[1] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟"[3].

(١) سورة، المؤمنين: ٥١.

(٢) سورة، البقرة: ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب الزكاة، باب، قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم، (١٠١٥): (٧٠٣/٢).

الخاتمة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد معلم الناس الخير متمم مكارم الأخلاق صلى الله عليه وعلى آله الأصفياء وأصحابه الأوفياء والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المعاد.

وبعد: –

بعون الله وتعالى وتوفيقه تكتمل صفحات هذا البحث، بعد أن أسطر النتائج التي توصلت إليها وهي:

١- من نعم الله تعالى على هذه الأمة أن جعلها وارثة لتجارب الأنبياء السابقين؛ في العقيدة والعبادات والدعوة والصبر وغيره، مما جعلها أمة قوية فتية عصية على الأعداء، صابرة على البلاء متجددة الآمال عظيمة الرجاء.

٢- دعاء الأنبياء الذي ورد في القرآن الكريم، وما صح من السنة النبوية المطهرة، موروث ضخم، ونبع عذب ينهل منه كل وارد.

٣- المبادرة لفعل الخير توجيه رباني، ونهج إيماني، وهدي إسلامي، وسلوك حضاري وهو أقرب الطرق لقبول الدعاء.

التوصيات: –

١- يقع على عاتق علماء الأمة بسط المعرفة بالدعاء وأساليبه، وعظمة قدره، فكثير من بني الأمة يجهلون الدعاء، يجهلون لفظه ومعناه وأسلوبه، بل منهم من يتوجه بالدعاء إلى غير الله تعالى، لذا فإن كثيرا من الدعاء يخالف الصواب فلا يستجاب.

٢- على وسائل الإعلام، والقائمين بأمرها أن يتحملوا مسؤوليتهم تجاه الأمة، وذلك بالتوعية بالدعاء وبيان أهميته وفضله، وحض بني الأمة وإحياء روح المبادرة إلى فعل الخير، حتى يكون فعل الخير والدعاء منهج وسلوك وجوهر حياة، ومظهر حضاري رفيع ورشيد.

٣-على قادة الأمة وأصحاب المال ورجال الأعمال أن يتضرعوا بالدعاء والانكسار بين يدي الرب، ويبادروا إلى الخير والعطاء رفقاً بالخلق.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن الأثير؛ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول تحقيق، عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان ط١.

٢- ابن الجزري؛ أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت (١٣٩٩هـ -١٩٧٩م) تحقيق طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي.

٣- ابن الجوزي؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد الميسر في علم التفسير، المكتب الإسلامي بيروت ط٣ (١٤٠٤هـ).

٤- ابن حجر؛ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت لبنان (١٤١٦هـ).

٥- ابن حنبل؛ أبوعبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).

٦- ابن عادل؛ أبو حفص عمرو بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخين عادل احمد عيد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م).

٧- ابن كثير؛ أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ط٢ (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)

٨- ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١.
٩- أبو السعود؛ محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠-أبو حيان؛ محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت (١٤٢١ هـ – ١٩٩٢م).
١١-الأصبحي؛ مالك بن أنس بن مالك، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
١٢-الألوسي؛ أبو الفضل محمود بن عبد الله الحسيني البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر بيروت.
١٣- البخاري؛ محمد بن اسماعيل أبو عبد الله الجعفي، تقديم الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الجيل بيروت.
١٤-البيضاوي؛ ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر.
١٥-الترمذي؛ محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون بدون طبعة بدون تاريخ.
١٦-الترمذي؛ محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمزي، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت ط، (١٩٩٨ م).
١٧- الجوهري؛ إسماعيل بن حماد، الصِّحاح في اللغة تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ط٣.

١٨-الحاكم؛ أبو عبد الله محمد عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١١ هـ – ١٩٩٠م).
١٩-الرازي؛ فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط، ١(١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م)
٢٠-الزَّبيدي؛ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢١-الزمخشري؛ أبو القاسم محمود عمر بن احمد جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي ط١(١٤١٧هـ ١٩٩٧م)،
٢٢-السهيلي؛ عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف، دار المعرفة بيروت، (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨).
٢٣-الشنقيطي؛ محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكتبة ابن تيمية القاهرة طبعة، (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).
٢٤-الشوكاني؛ محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المكتبة العصرية بيروت، (١٤ ١٧هـ– م١٩٩٧).
٢٥-الصابوني؛ محمد بن علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم بيروت، ط٤ (١٤٠٢ هـ ١٩٨١م).
٢٦-الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م).
٢٧-الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٨-الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.
٢٩-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).
٣٠-القشيري؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٣٧٥هـ- ١٩٥٥).
٣١- المحلى؛ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والسيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، دار الحديث القاهرة ط١.
٣٢-المناوي؛ عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية، مصر ط١، (١٣٥٦هـ).
٣٣-النسفي؛ عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل، دار النفائس، بدون طبعة وبدون تاريخ.
٣٤-النووي؛، أبو زكريا يحي بن شرف النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتاب العربي بيروت، طبعة٢ (١٣٩٢هـ).

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص البحث: – ١٢١٠
مقدمة ١٢١٢
أهمية البحث: ١٢١٣
أهداف البحث: ١٢١٣
منهج البحث: ١٢١٣
حدود البحث: ١٢١٤
خطة البحث: ١٢١٤
التمهيد ١٢١٥
المبحث الأول: دعاء نبي الله ابراهيم علي السلام ١٢٢٠
المبحث الثاني: دعاء نبي الله أيوب عليه السلام ١٢٢٨
المبحث الثالث: دعاء نبي الله ذا النون عليه السلام ١٢٣٣
المبحث الرابع: دعاء نبي الله زكريا عليه السلام ١٢٤٣
المبحث الخامس: من شمائل الأنبياء عليهم السلام ١٢٤٦
الخاتمة ١٢٥٢
قائمة المصادر والمراجع ١٢٥٣
فهرس الموضوعات ١٢٥٧